صور التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين (دراسة تحليلية مقارنة)

أحمد عبدالله صلاح
قسم الدراسات الإسلامية- كلية التربية والعلوم برداع-جامعة البيضاء
AhmedSalah@baydaauniv.net
aasalah5@gmail.com
Albaydha University
DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v6i1.556

الملخص

تظهر أهمية البحث من خلال أهمية الموضوع الذي يتناوله، ويهدف البحث إلى توضيح وبيان أسباب الغزو الصليبي والصهيوني لفلسطين، وبيان أوجه وصور التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين.

وتم تقسيم البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وتضمنت المقدمة أهداف البحث، وأهميته، ومشكلته، والمنهجية المتبعة فيه، وهيكلة البحث وتقسيماته.

وجاء المبحث الأول تحت عنوان مفهوم وأهداف الغزو الصليبي الصهيوني، فيما جاء المبحث الثاني تحت عنوان: صور التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين.

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وتم تذييل البحث بقائمة لأهم مصادر البحث ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: تشابه. الغزو. الصليبي. الصهيوني. فلسطين.

Images of similarities between the Crusader invasion and the Zionist invasion of Palestine: A comparative analytical study

Abstract

The importance of the study appears through the importance of the topic it deals with .

The study aimed to clarify and explain the reasons for the Crusader and Zionist invasions of Palestine and to show the aspects and similarities between the Crusader invasion and the Zionist invasion of Palestine..

The research was divided into an introduction، two sections، and a conclusion.

The introduction included the research objectives، its importance، its problem، the methodology used in it، and the research structure and divisions.

The first section was titled: The concept and objectives of the Crusader-Zionist invasion، while the second section was titled: Images of similarities between the Crusader invasion the Zionist invasion of Palestine.

The conclusion included the most important findings of the research، and the was appended with a list of the most important research sources and references.

Keywords: *similarity. Invasion. Crusader. Zionist. Palestine.*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا، ورسولنا، وقائدنا، ومعلمنا، وأستاذنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور، محمد ﷺ، وعلى آله، وأصحابه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

إن القدس هي مركز الإشعاع الروحي للديانات السماوية الثلاث، وقد اقتضت إرادة الله وحكمته أن تكون فلسطين ملتقى الرسالات السماوية، ومقر كثير من الأنبياء والمرسلين، فاكتسبت هذه البقعة المباركة قدسية وطهارة، واحتلت مكانة عظيمة في نفوس المؤمنين عبر العصور.

وانطلاقًا من مقولة أن التاريخ لا يتكرر التي تدور على ألسنة الكثير من الناس، والتي تتناقض مع وقائع التاريخ وأحداثه، فالأحداث قد تتكرر، بل وقد تتطابق أيضًا، ودراسة التاريخ لا تعني الاقتصار على ذكر الروايات والأحداث والتواريخ بقدر ما تعني تفسيرها وتحليل أحداثها، سواء بربط تلك الأحداث ببعضها، أو بعرضها بغرض استلهام العظة والعبرة، من أجل الاستفادة من أخطاء وتجارب الأمم وخبراتها، والتوصل لصناعة القرار الصائب، والتخطيط المناسب.

وقد وردت الكثير من آيات القرآن الكريم التي تطرقت إلى أحداث تاريخية مختلفة، منبهة فيها على ضرورة استقراء التاريخ، واستلهام العبر والعظات من سنن الله تعالى في الكون والحياة، لأن التاريخ يستلهم منه صياغة شخصية الأمة، ولهذا اختتمت الكثير من آيات القرآن الكريم بألفاظ: تتفكرون، تعقلون، تبصرون، قال تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف 111]، فالتاريخ هو مرآة الشعوب والأمم، ومنه يستشرف حاضرها ومستقبلها.

والملاحظ في الإستراتيجية اليهودية أنها تعتمد على التعمق التاريخي، فهي تستوحي التاريخ وتستلهم منه الدروس والعبر، فهم يعتمدون في إثبات حقهم في فلسطين على التاريخ، وهم يجمعون يهود العالم في فلسطين بناء على التاريخ، وهم أيضًا يقرأون تاريخ المسلمين قراءة واعية ودقيقة، فاليهود يقرأون تاريخ الغزو الصليبي للقدس ويحللونه تحليلًا دقيقًا، حتى يتفادوا الخروج الذي خرج منه الصليبيون، فإسرائيل اليوم تبحث عن حاضرها ومستقبلها، وهي مندفعة في الوقت نفسه إلى ماضيها وكل ما يتعلق بها وتتناول كل ذلك بالدراسة والتحليل والاستنتاج، إضافة إلى مهارتهم في توظيف التاريخ وتزوير حقائقه وأحداثه.

إن صور التشابه الكبير بين الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية لفلسطين يدركها اليهود تمام الإدراك، وتعد من ضمن الأمور التي تشغل جانبًا كبيرًا من الاهتمام في جامعاتهم ومعاهدهم ومراكز بحوثهم، إنهم يحاولون بكل ما أوتوا من مكر ودهاء وإغراء إبعاد المسلمين حكامًا ومحكومين عن الاتجاه إلى طريق التحرير، فالحديث عن الغزو الصهيوني هو الحديث نفسه عن الغزو الصليبي، فالتشابه في الهدف والوسيلة يؤدي بالقول إلى أن الغزو الصليبي هو الغزو الصهيوني.

أهمية البحث وأهدافه: تكمن أهمية هذا البحث في أنه يبين أوجه التشابه الكبير بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين من أجل وضع المسلمين أمام مسئوليتهم تجاه القضية الفلسطينية نظرًا للظروف الحرجة التي تمر بها الأمة في وقتها الراهن، وتتمثل أهداف البحث فيما يلي:

- بيان وتوضيح مفهوم وأسباب الغزو الصليبي والصهيوني لفلسطين.
- بيان أوجه وصور التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين.
- لفت انتباه الشعوب المسلمة إلى مسئوليتها تجاه فلسطين وقضيتها.
- الإسهام في خدمة البحوث العلمية، وإثراء المكتبة الإسلامية بهذه الدراسة.

مشكلة البحث: تظهر مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي:

ما أوجه الشبه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين؟ ويتفرع عنه مجموعة من الأسئلة.

الدراسات السابقة: لم أجد فيما اطلعت عليه دراسة علمية أكاديمية وافية تضمنت جميع صور التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين، إلا أنه تم تناول هذا الموضوع في بعض الكتب والمقالات التي تطرقت إليه بصورة عابرة، أو بصورة ليست وافية، وبمسميات مختلفة، ومن هنا انطلقت هذه الدراسة لبيان صور التشابه بين الغزوين.

المنهجية المستخدمة: اتبع الباحث في هذا البحث منهج البحث الوصفي، والتحليلي الاستقرائي المقارن، كما قام باتباع المنهج العلمي المتعارف عليه في توثيق المعلومات أيًا كانت، سواء من مرجع قديم، أو جديد، والحرص على تعدد المصادر في المعلومة الواحدة إن أمكن، وكذلك التركيز على موضوع البحث دون استطراد، وإن استلزم الأمر تم الاختصار اختصارًا غير مخل.

هيكلة البحث: اقتضت طبيعة هذا البحث التقسيم إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وكانت هيكلة البحث على النحو التالي:

المقدمة: تضمنت أهمية البحث، وأهدافه، ومشكلته، والمنهجية المستخدمة فيه.

المبحث الأول: مفهوم وأهداف الغزو الصليبي والصهيوني.

المبحث الثاني: صور التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج، وتم تذييل البحث بفهرس لقائمة أهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم وأسباب الغزو الصليبي والصهيوني لفلسطين

أولا: حرمة بيت المقدس وفلسطين وفضلها عند المسلمين

لقد خص الله سبحان وتعالى مكة والمدينة والقدس بالقداسة والبركة، وقد نص القرآن الكريم على بركة بيت المقدس وما حوله في كثير من المواضع، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** ﴾ سورة الإسراء الآية 1.

وتعود قدسية بيت المقدس وفضله في نظر المسلمين من كون الإسلام دينًا مكملًا للديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية، ووريثًا لمقدساتهما، ومشتملًا في رسالته على هذه المقدسات، ومرتبطًا بهما جميعًا، ويبرز هذا بوضوح في توجه النبي ﷺ وأوائل المسلمين في صلواتهم إلى بيت المقدس قبل أن يتحولوا إلى مكة طيلة ستة عشر شهرًا وثمانية عشر يومًا(الواسطي،1979م،11؛المغربي، 1401ه، 131) .

ولقد نص القرآن الكريم على أن بيت المقدس أرض مقدسة كما أن فلسطين كلها مقدسة في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ سورة المائدة، الآية 21.

وترجع قدسية أرض فلسطين كلها كونها أرض المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، وهما موجودتان قبل بعثة موسى عليه السلام.

1- المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين:

أ-المسجد الأقصى في القرآن الكريم: ورد ذكر المسجد الأقصى في قوله تعالى:﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾.

ب- المسجد الأقصى في السنة النبوية: ورد ذكر المسجد الأقصى في أحاديث كثيرة منها ما جاء عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: " سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض، فقال : " المسجد الحرام "، قلت ثم أي قال:" المسجد الأقصى " قلت كم بينهما؟ قال: " أربعون عامًا "(مسلم،520 ،370) .

جـ- فلسطين كلها مقدسة مباركة: ليست بيت المقدس وحدها هي المقدسة، بل إن فلسطين كلها أرض مقدسة ومباركة، فقد شهدت أرض فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة نزول الوحي السماوي على كثير من الأنبياء كداوود وسليمان وعيسى الذي نشأ وترعرع فيه، فاستحقت أن توصف بالبركة والقداسة.

2- ارتباط المسجد الأقصى وفلسطين بعقيدة المسلمين:

ارتبط المسجد الأقصى وما حوله من أرض فلسطين بعقيدة المسلم، وأصبح جزءًا لا يتجزأ منها، وقد أنزل من الوحي في القدس على رسول الله ﷺ، ويؤيد هذا ما رواه أبو أمامه عن النبي ﷺ : " أنزلت علي النبوة في ثلاثة أمكنة بمكة والمدينة والشام"(الحاكم، 8556، 555؛ الألباني، 1992م، 900)، وكانت القدس وفلسطين كلها مما بعد من بلاد الشام في ذلك الوقت.

ولقد فرضت الصلاة التي هي عماد الدين ليلة الإسراء والمعراج، وجعل الله تعالى المسجد الأقصى من أشرف البقاع لأعظم شعائر الإسلام وهي الصلاة.

وقد صلى النبيﷺ بالأنبياء إمامًا في بيت المقدس، وقد شاء الله ربط عقيدة المسلمين بالمسجد الأقصى بفرض الصلاة. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الحرام ومسجد رسول الله ومسجد بيت المقدس " (مسلم، 827، 975) .

لهذا كان الاهتمام بالمسجد الأقصى من شرائع الإسلام، ولهذه القداسة نظر النبي ﷺ وأصحابه إلى بيت المقدس على أنه مكان مبارك وموضع مقدس كريم، فشدوا الرحال وأحرموا منه للحج والعمرة، وزاروه لذاته بغية الصلاة والأجر والثواب، وأحاطوه برعايتهم الدينية الكريمة(البعث، 2005م،30).

3- صلة الحرمين الشريفين بالمسجد الأقصى المبارك

ربط الله سبحانه وتعالى بين المساجد الثلاثة ربطًا وثيقًا بنصوص قرآنية واضحة تتلى صباح مساء، حتى تبقى راسخة في أعماقهم، وجزءًا لا يتجزأ من عقيدتهم.

فهذه الأماكن الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها جزء من العبادة في الإسلام، وقد ارتبط المسجد الأقصى ومدينة القدس بالحرمين الشريفين ومكة والمدينة بروابط كثيرة، منها ما يلي:

-

أ- أن مكة المكرمة قد ارتبطت بالقدس الشريف منذ وجدت مكة، ففي مكة أول بيت وضع للناس، وقد كان المسجد الأقصى ثاني بيت يوضع على الأرض في الدنيا كلها بعد المسجد الحرام، وكانت المدة الفاصلة بين بناء المسجد الأقصى والمسجد الحرام لا تتجاوز ٤٠ سنة. والارتباط المؤكد بينهما كان في زمن إبراهيم عليه السلام.

ب- لقد كان المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، وقد وردت الآثار في صلاة النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة أنه كان يضع الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فيصلي متجهًا إليهما معًا، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان النبي يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بيت يديه" (ابن حنبل، 2991، 136؛الألباني، 1427ه،74).

هذا الربط الدقيق والوثيق من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بين المدينتين المقدستين والمسجدين العظيمين، يلفت انتباه الموحدين إلى عمق الصلة بينهما، وإلى مكانتهما، وعدم التقليل من شأن أحدهما على حساب الآخر، وفي ذلك كله توكيد على لحمة البلدين وتقديسهما في نظر الإسلام.

فالقدس الشريف كانت قبلة المسلمين الأولى في صلاتهم قبل الهجرة، والكعبة قبلتهم الثانية بعد الهجرة. وهذا التوجه إلى بيت المقدس كان لحكمة عظيمة هي الإشارة إلى أن الديانات

كلها واحدة من عند الله، وإلى الربط بين مسجد رسول الله والمدينة المنورة، وبين بيت المقدس في صورة عملية تخلد هذا الارتباط وتؤكد واجب المسلمين على ضرورة استمرار هذا الارتباط، والحفاظ على هذه الأماكن المقدسة، وعدم السماح لأحد غير المسلمين بأخذها، والاستيلاء عليها، أو تدنيسها، أو المساس بحرمتها وقدسيتها، أو السيطرة عليها.

فيكفيه فخرًا أنه أولى القبلتين إلى أن أمر الله بتحويل القبلة، وفي هذا يقول تعالى :﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ سورة البقرة، الآية 144.

جـ ارتباط هذه المساجد الثلاثة بالقدسية والطهارة والشرف، لقد نص القرآن الكريم والحديث الشريف على قدسية هذه البقاع وحرمتها وطهارتها وشرفها، ومن ذلك قوله تعالى على لسان موسى لبني إسرائيل:﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾سورة المائدة، الآية 21.

د- ارتباط هذه المساجد باستهدافها والاعتداء عليها من أعداء الله، فمن المعلوم أن مكة والمدينة المنورة وكذلك القدس الشريف تُعد مسرحًا للصراعات الدموية منذ قديم التاريخ، وإلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك من قبل أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، فقد شهدت العديد من المؤامرات، وتعرضت للكثير من الاعتداءات اليهودية والنصرانية والمجوسية.

فكانت أول مؤامرة على قدسية المسجد النبوي في المدينة المنورة، واشترك فيها اليهود والنصارى والمؤسف؛ في طعن أبي لؤلؤة المجوسي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وهو يصلي بمسجد رسول الله ﷺ، ثم الاعتداء على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، واستمرت هذه الاعتداءات في الأماكن المقدسة، حيث شهدت هذه البقاع الكثير من الثورات والمؤامرات التي أزهقت أرواح الكثير في حرم الله الآمن، وقد تعرض المسجد الأقصى للعديد من الاعتداءات اليهودية والنصرانية وغيرها عبر التاريخ، فلا يكاد يخلو عقد من اعتداء على المسجد الأقصى وسائر المقدسات الإسلامية.

وكان من هذه الاعتداءات الحملات الصليبية المعروفة، وما فعله الصليبيون بعد أن استولوا عليه فقد ذبحوا الآلاف، وحولوا قبة الصخرة إلى كنيسة، وجعلوا المسجد الأقصى إسطبلًا لخيولهم. ولم يكتفوا بما فعلوه بقبلة المسلمين الأولى الأقصى، بل توجهوا فور انتهائهم منه إلى الحرمين الشريفين والمدينتين المقدستين مكة والمدينة المنورة سنة ٥٧٨ هـ، حيث أسرع ملك الكرك الصليبي الفرنسي (أرناط) للاستيلاء على مكة والمدينة، وقطع طريق الحجاج، فنهب أموالهم وقتل كثيرًا منهم وأسر بعضهم. ووصل الصليبيون مسيرة يوم واحد من المدينة لولا أن قيض الله صلاح الدين الأيوبي لوصلوا المدينة المنورة (ابن الأثير، 1886م، 11470؛ الغامدي، 1985م، 168).

هـ- لقد أراد الله سبحانه أن يكون معراج الرسول ﷺ من المسجد الأقصى، وفي ذلك تأكيد لارتباط بيت المقدس بعقيدة المسلمين وربط بين مكة والقدس، فقد أراد الله تعالى أن يكون إسراء النبي من مكة ومن المسجد الحرام بالذات إلى المسجد الأقصى من أرض مباركة إلى أرض مباركة، ومن مسجد مقدس إلى مكان مقدس، وأن يكون معراج رسوله من بيت المقدس إلى السموات العلى، وكان بالإمكان أن يكون المعراج من مكة المكرمة مباشرة(كشك،2002م، 69).

و- الروابط التاريخية الجهادية بين المساجد الثلاثة، ونظرًا لمكانة القدس عند المسلمين فإنهم لم يدخروا جهدًا في سبيل تحريرها وتطهيرها من رجس الوثنية، فقد وجه رسول الله ﷺ إلى الأذهان ضرورة تحرير الأرض المقدسة من الشرك والوثنية، فأرسل كتبه إلى الملوك والأمراء، ومنهم هرقل سنة ٧ هـ. ولم يكتف النبي بذلك فقد وجه الجيوش إلى بلاد الشام لتحريرها من الروم، ثم أخذ النبي ﷺ يعد جيش أسامة قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى سنة ١٠ هـ، وهو الجيش الذي أنفذه أبو بكر، كل ذلك يدل دلالة قوية على ضرورة تحرير المقدسات الإسلامية، فما إن انتهى رسول الله من فتح مكة وتحريرها من الشرك والوثنية حتى توجه إلى خارج الجزيرة العربية وإلى فلسطين ليحرر القدس وسائر البلاد من الوثنية الرومانية(صلاح الدين، 1994م، 38) .

ثم فتحت بيت المقدس وتسلمها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه، وصدرت العهدة العمرية التي اعتبرت من الآثار الخالدة الدالة على عظمة المسلمين، ومنذ أن أبرمت هذه الوثيقة الخالدة وبيت المقدس يحظى بعناية المسلمين على نحو قريب من عنايتهم بالمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

وظلت بلاد الشام والقدس أرضًا عربية إسلامية منذ العهدة العمرية سنة ١٥ هـ - ٦٣٦م، واستمر الحال هكذا دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية، حيث استطاع الصليبيون أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري حتى أجلاهم عنها صلاح الدين الأيوبي بعد انتصاره عليهم في موقعة حطين (المصري، 223/1).

ز- ومنذ الفتح العمري للقدس حرص المسلمون، ولا سيما الصحابة رضي الله عنهم أن يقدموا من مكة والمدينة لزيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه، فشدوا إليه الرحال وأحرموا منه للحج والعمرة، وزاروه بغية الصلاة والثواب، وأحاطوه برعايتهم الكريمة. وقد أحرم منه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك فعل غيره من الصحابة كعبد الله بن عمر وابن عباس رضي الله عنهما (البعث، 2005م،31)، وكما حرص كثير من خلفاء المسلمين أن تكون البيعة له في بيت المقدس، فقد بايع عمرو بن العاص معاوية في بيت المقدس، كما بويع سليمان بن عبد الملك في بيت المقدس (صلاح الدين، 1994م،41).

ي- واتمامًا للربط بين هذه المساجد الثلاثة، قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة بعد أن استشار العلماء والأمراء في الأمصار بأنه يريد أن يبني قبة الصخرة لكي تقي المسلمون من الحر والبرد، فوردت إليه الكتب بتأييد ذلك(الواسطي،81).

ثانيا- مفهوم وأسباب الغزو الصليبي لفلسطين

لقد بدأ النصارى خططهم لحرب الإسلام منذ الوهلة الأولى لظهوره حتى حرب الخليج الثانية في العراق وأفغانستان وغيرها من الدول العربية والإسلامية في الوقت الحاضر، وقد استخدموا لذلك ستة حروب من ضمنها عدد من الحملات (باعباد،2005م، 22-23)، وذلك على النحو التالي:

الحرب الأولى: وكانت مع ظهور الإسلام بهدف مقاومة الدعوة، ومنها معركة تبوك، واليرموك، والقادسية، وفتح مصر والإسكندرية وغيرها من المعارك حتى أستتب الأمر فيها للمسلمين، وهي حروب عسكرية مقاومة لنشر الإسلام.

الحرب الثانية: وهي ما تسمى بالحروب الصليبية التي بدأت في سنة ٤٩٠ هـ الموافق 1099-1291م، واستمرت لمدة قرنين، وفيها استولى الصليبيون على القدس وغيرها من البلاد الإسلامية.

الحرب الثالثة: وهي الحرب الفكرية، أو ما يسمى بالغزو الفكري التي فكر فيها لويس التاسع قائد الحملة السابعة، وذلك بعد أسره في المنصورة في القرن الثالث عشر في الحملة الصليبية الأخيرة ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠م.

الحرب الرابعة: وهي الاحتلال الأوربي الحديث، والتي بدأت في القرن التاسع عشر، وتعرف باسم الحروب الاستعمارية الحديثة، وهي حرب عسكرية وفكرية وتغيير سياسي واجتماعي.

الحرب الخامسة: وهي حرب هدفها إضعاف الأمة الإسلامية، وهي حرب ما بعد الاستقلال وما يسمى بالاستعمار الجديد، وهي حرب فكرية، واقتصادية، واجتماعية ينفذها بعض أبناء البلاد الإسلامية.

الحرب الصليبية السادسة – المعاصرة -: وهي الحروب التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية في الوقت الراهن.

1- مفهوم الحروب الصليبية : الحروب الصليبية هي عبارة عن الحملات العسكرية التي قامت بها أوربا خلال قرنين من الزمن بقصد استخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين، والمحافظة على الإمارات الصليبية التي تكونت في بلاد الشام، وهي تمثل دورًا مهمًا من أدوار الصراع المستمر من الزمن القديم بين الشرق والغرب(كشك،2002م، 16).

وقد استغلت اليهودية هذا الصراع في صراعها مع الإسلام، وقد حملت الدولة البيزنطية وزر مقارعة الإسلام فكريًا وعسكريًا من أول ظهوره إلى أن انهارت نهائيًا تحت مطارق الإسلام عام ٥٧٨ هـ. فانتقل ذلك إلى الإمبراطورية الروسية، والنمساوية، وفرنسا، وإنجلترا، وفي الوقت الذي كان فيه الإسبانيون والبرتغاليون يتحركون بدافع الحقد على الإسلام والمسلمين ويدفعون المسلمين عن الأندلس وكل أولئكم يحركهم البابا في روما وتنفخ فيهم الكنيسة روح الحقد على المسلين بعد وفاة السلطان ملك شاه ٤٨٦ هـ - ١٠٩٢م، فانقسمت الدولة السلجوقية بعد ٥ سنوات فقط من وفاته إلى دويلات وممالك، وساد هذه السلطات والممالك النزاع والحروب، بالإضافة إلى ذلك فقد دخلت هذه الدويلات في صراع مع الدولة الفاطمية، وفي هذا الجو تدفقت جموع الصليبين يشترك فيها أمراء الإقطاع والفرسان ورجال الدين، فانتصروا في البداية، فأطاحوا بسلاجقة الروم وكونوا في بلاد الشام وآسيا الصغرى إمارة الرها، وإمارة أنطاكية، وإمارة طرابلس، ومملكة بيت المقدس اللاتينية عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٨م. وضرب الصليبيون أمثالًا للحقد على الإسلام والمسلمين باسم الغزو بروح التعصب والانتقام، فقد سفكوا الدماء في الرها وأنطاكية وبيت المقدس وفي ساحة المسجد الأقصى، أما الأندلس فكان عصر ملوك الطوائف فأخذت كفة النصارى ترجح، فأصدر البابا أوربيان مرسومًا حرض فيه رجال الدين الفرسان الإسبان على المشاركة في صليبيات الشرق لأن محاربة المسلمين بإسبانيا لا تقل أهمية واعتبارًا عن الحروب الصليبية الشرقية، فنتج عن ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوربا إلى الأندلس ليساهموا في الحروب صليبية(المصري،62) .

2- أسباب الحروب الصليبية ودوافعها

ترجع هذه الحروب في أسبابها إلى ثلاثة عوامل مجتمعة: دينية، واقتصادية، وسياسية، ترجع في أصولها البعيدة إلى القرن السابع الميلادي يوم انتصر المسلمون على الروم في وقعة اليرموك سنة ١٥ هـ، وانسحابهم من سوريه ومصر ومن أفريقية بعد انتصار المسلمين (الحريري، 1359ه، 8-14).

إلى ذلك فإن المؤرخين يجمعون على أن أهم الأسباب الجوهرية التي أدت إلى هذا النزاع الدموي العنيف تنحصر فيما يلي: -

- ما يحمله الأوربيون من الأحقاد للمسلمين نتيجة وجود بيت المقدس في يد المسلمين.
- كذلك لما كانت القسطنطينية على وشك أن يستولي عليها المسلمون استنجد الإمبراطور الكسيس كومنين بالعالم الأوربي ضد المسلمين.
- ومن الأسباب كذلك الحالة الاجتماعية بأوربا، وسوء نظام الطبقات والظلم والاضطهاد المسلط على عامة الشعب، حيث كان يدفع به إلى الانعتاق والحرية. كما كانت طبقات الأمراء والإقطاعيين يدفعها حب تكوين الممالك والإمارات في بلاد الشرق.
- وكان من أهم الأسباب انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين (كشك،2002م، 16)، وتعتبر الكنيسة القوة الأساسية التي

طلبت الإمدادات في حرب مقدسة للاستيلاء على فلسطين، فالمعروف أن التفكير الديني هو التفكير الذي كان سائدًا في العصور الوسطى، لأن رجال الدين هم الذين يدركون معنى الإمبراطورية، والكنيسة هي التي ابتكرت الحروب الصليبية الأولى، لأن رجال الدين يؤمنون بالحج من أجل التوبة، كما ما تشتهر به بيت المقدس من اسم مقدس يجعل المسير إليها يتسم بالبراءة وعدم الريبة(باركر،21).

يقول مؤرخ بريطاني رسمي لفلسطين: " لقد كان منشطو الصليبية تحركهم عوامل عدة من دينية، وعائلية (ملوكية) وتجارية"، ثم يقول بوضوح: "إن غرض الصليبيين كان زرع إقطاعية غربية في أرض شرقية "(خان،1987م،168).

ثالثا- مفهوم الغزو الصهيوني لفلسطين وأسبابه

1- مفهوم الصهيونية: الصهيونية مشتقة من لفظة صهيون، وصهيون اسم رابية في أورشليم، وأطلقت اسم الصهيونية على منظمة أسست بعد منتصف القرن الماضي، وقامت هذه الحركة بالعناية بفلسطين، وصارت تسعى لاستعمارها لتجعلها وطنًا قوميًا لليهود، ويلاحظ أن أكثر الزعماء والمؤسسين للصهيونية هم من يهود أوربا وروسيا الشرقية، ولم يشاهدوا فلسطين في حياتهم، وعاشوا هم وأجدادهم في أوطانهم أوربا، وما لبثت هذه المؤسسة أن أصبحت مؤسسة سياسية استعمارية ذات جهاز تنظيمي اتخذ مؤسسها إظهار اليهود ذريعة لتنظيم تلك الحركة(سوسة، 1972م، 327).

فهي حركة سياسية دينية عنصرية قام بها مؤسسوها بهدف مواجهة التحديات والاضطهادات التي واجهت اليهود في أوربا تحت ظل فكرة القوميات. فهي تهدف إلى جمع الملايين من اليهود في العالم في كيان يهودي قومي استنادًا إلى مزاعم تاريخية ودينية تربطهم بها واتخاذ فلسطين نقطة انطلاق لدولة كبيرة تمتد من النيل إلى الفرات، ومن ثم تكوين إمبراطورية عالمية تكون وريثة للحضارة الغربية.

وربطت الحركة الصهيونية الهدف السياسي والعنصري بالدين اليهودي ربطًا محكمًا بأن حولت العلاقة الروحية التي تربط اليهود بفلسطين كالتي تربط المسلمين بمكة والمدينة المنورة وبيت المقدس، وكالتي تربط النصارى ببيت لحم والناصرة، وكالتي تربط السيخ بمعبدهم الكبير في لاهور والشيعة بكربلاء. وأعلنت فلسفة مستمدة من الأساطير وتتمثل في العودة إلى فلسطين بموجب الحق التاريخي والطبيعي الذي يعود إلى ما قبل ٢٣قرنًا، وحاولت أن تجعل من بعض نصوص العهد القديم وسيلة لكسب النصارى إلى صفها ووضعت مخططًا واستعانت في سبيل اكتساب وجود اليهود في فلسطين حقًا تاريخيًا التزوير في كتابات التاريخ ووضع الموسوعات والكتب باللغات المختلفة (المصري، 211).

واتخذت الصهيونية الاستعمار الأوربي والشيوعية وسيلة لتحقيق أهدافها وتحركت في جسم الأمة الإسلامية بواسطة مؤسساتها الماسونية، والنوادي الرياضية، والثقافية والجمعيات المختلفة، وقد نجحت الدعاية الصهيونية في إلصاق الرذائل وأخس الصفات بالسلطان عبد الحميد الثاني الذي عارض إنشاء وطن قومي لليهود في القدس (أتلخان،1401ه، 208).

2- مراحل تكوين الصهيونية: تمثلت مراحل تكوين الصهيونية فيما يلي (م. مؤلفين، 2017م، 89-100):

أ- المرحلة التكوينية: وتمثلت في نشوء الصهيونية البروتستانتية وذلك في القرن السابع عشر، وصهيونية غير اليهود المتمثلة بالعلمانية، وذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر، ثم صهيونية أثرياء اليهود المندمجين في مجتمعاتهم الغربية وذلك خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأخيرًا بداية التيارات الصهيونية بين اليهود، وذلك خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي.

ب- مرحلة هرتزل: وذلك في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ج- مرحلة الولادة: وتبلور الفكرة الصهيونية، وذلك في مطلع القرن العشرين، وإعلان وعد بلفور سنة 1947م.

د-مرحلة الاستيطان في فلسطين: وذلك تحت رعاية حكومة الانتداب البريطاني.

3- أهداف الصهيونية

لم يجد الاستعمار صعوبة في التفكير في اختيار هذا الحاجز البشري، فقد كانت الصهيونية العالمية في ذلك الوقت تبحث عن وطن تقيم فيه، ومن هنا كان اللقاء بين الاستعمار والصهيونية، خاصة بعد مؤتمر بال الذي عقد في سويسرا سنة ١٨٩٧م(الخولي،1973م،15؛ كشك،89) ، وكانت وليدة الاستعمار، وقد لجأت بمساعدة الدول الاستعمارية للاتصال بالدولة العثمانية وبالسلطان عبد الحميد وعملت على إسقاطه. وهدفت الصهيونية بالتعاون مع الاستعمار إلى مايلي:-

1- تمزيق وحدة العرب والمسلمين والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي بالفصل بين قارتي آسيا وأفريقيا، فهدفت الصهيونية إلى وراثة النظام الرأسمالي والسيطرة على العالم الإسلامي.

2- تتمة الغزو الثقافي في العالم الإسلامي بتدمير كل القيم والأنظمة والأخلاقيات ونشر الإلحاد والإباحية والتسلط.

فقالوا عن الصهيونية إنها تحقيق لهدف اليهود التاريخي في فلسطين، وهذا الحق تكذبه وقائع التاريخ نفسها. فقد حكم فلسطين الرومان والعرب ومصر، وقالوا هي رد فعل لاضطهاد اليهود، وقالوا إن الصهيونية تحقيق لنبوءات اليهودية القديمة في العودة إلى فلسطين.

وإذا كانت هذه الحركة قد فضلت أن يكون الوطن القومي لليهود في فلسطين فإن ذلك يرجع إلى دافعين رئيسيين: -

الدافع الأول: استغلال الشحنة العاطفية الدينية عند اليهود المرتبطة بالأرض المقدسة لتشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين وتنفيذ مخططات الصهيونية.

الدافع الثاني: إدراك الزعماء الصهاينة منذ الوهلة الأولى أن اختيار فلسطين بما لها من موقع إستراتيجي وأهمية تجارية لوقوعها في الطريق المؤدي إلى الهند والذي كان يعد من أهم الطرق التجارية في العالم القديم سيلقى تأييد وتشجيع الدول الاستعمارية التي كانت تتحكم في هذه المنطقة، وكان من مصلحتها أن تساهم في تنفيذ المخطط الصهيوني لحماية مصالحها(كشك،92).

وبدأ تنفيذ المخطط الاستعماري الصهيوني المشترك لإقامة الحاجز البشري الغريب في المنطقة وتم تنفيذه على مرحلتين رئيسيتين تولت قيادة الأولى منها بريطانيا، أما المرحلة الثانية فقد تزعمتها الولايات المتحدة، قال (رايد ولف تشرشل): " لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحية واليهودية على السواء، إن سرور المسيحية لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين وقد صادر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود "(باعباد،29).

وقد ارتكزت العقيدة الصهيونية على عدد من العوامل، أهمها: وحدة الأرض واللغة والحضارة المشتركة بين السكان الذين تجمعهم بلاد واحدة. وقد تبنت لتعبئة الرأي العام اليهودي على ركائز لهذه الأمة اليهودية تتبنى على العناصر التالية: العرق، التاريخ، والدين(المحجوبي،1990م،50).

المبحث الثاني: صور التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين

الحديث عن الغزو الصهيوني هو الحديث نفسه عن الغزو الصليبي، وهذا التشابه في الهدف والوسيلة يكاد يسقط العامل الزمني، وكأن الغزو الصليبي هو الغزو الصهيوني أو العكس وسنتناول ذلك ضمن الصور التالية:

الصورة الأولى: وجه التشابه في العداء الديني للإسلام والمسلمين:

وأول صور هذا التشابه هو العداء الديني من قبل اليهود والنصارى للإسلام والمسلمين، فالعداوة أزلية، بنصوص الكتاب والسنة، ويؤيدها الواقع التاريخي الذي يدل على حتمية الصراع بين الإسلام واليهودية والنصرانية حتى قيام الساعة.

فالذي أجج نيران الحروب الصليبية هو البابا (أيربان الثاني) الذي أعلن الحرب في مجمع كليرمونت ١٠٩٥م، وحدد لها الطريق والهدف النهائي، وشهد هذا المجمع الآلاف من رجال الدين، حيث تحدث هذا البابا عن قداسة بيت المقدس وفلسطين أرض ميلاد المسيح، ووصف ما يعانيه الحجاج أثناء سفرهم من العذاب والمتاعب بصورة سيئة لإثارة حماس الصليبيين، ثم وجه نداءه الشهير: " فلينطلق المسيحيون بالغرب لنجدة الشرق، ينبغي على الأغنياء والفقراء سواء، ينبغي أن يكفوا عن قتل أحدهم الآخر، وأن يباشروا عوضًا عن ذلك القتال الحق، فيؤدن ما أمر الله به أن يعم، وسوف يكون مرشدًا لهم وهاديًا، ومن يلق مصرعه في المعركة تحل ذنوبه وغفر الله أخطاءه "(صلاح الدين،99؛ ونسيمان،1968م،7). فكانت الاستجابة فورية وقوية، فهكذا البابا أيربان الثاني هو مؤجج الحروب الصليبية التي حركت أوربا كلها نحو الشرق حاملة الصليب، ومعلنة الجهاد المقدس لتحرير فلسطين من المسلمين الكفرة على حسب وصفه.

كذلك فإن رائد الغزوة الصهيونية هو: (هرتزل، وهو يهودي مجري تلقى دراسته في فينا وتتلمذ على أفكار (موشي هيس) وبسطها، واستسقى فكرة كتابه (الدولة اليهودية من هيس ونشره سنة 1896م)، وهو العقل المفكر والرأس المخطط للدولة اليهودية، والذي وضع أفكاره في كتابه الذي أسماه (بالدولة اليهودية)، والذي عقد مؤتمرًا يهوديًا عالميًا ضم حاخامات يهودا في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧م ، وحدد مكان تلك الدولة اليهودية بفلسطين(الخولي،1973م،67) أرض إسرائيل، فكان هرتزل هو بابا الغزوة الصهيونية ومؤججها، فقد تشابه نداء أيربان الصليبي ١٠٩٥م مع هرتزل الصهيوني، حيث قال: "إن الغزوة الصليبية ترجع إلى مشيئة الله" وكان نداء هرتزل " يا آل يعقوب تعالوا هيا نذهب". واتخذت الغزوتان شعارًا متشابهًا، فاتخذت الغزوة الصليبية شعار(الصليب) والصهيونية شعار(نجمة داوود السداسية)(صلاح الدين،99-100).

وهكذا تم توظيف واستغلال المشاعر الدينية والاعتقادية عند المسيحيين واليهود، وتجنيد الناس من أجل الحصول على الدعم المادي والبشري والمعنوي.

وقد عملت الصهيونية بتنظيم ودأب كبيرين منذ اتجه هرتزل نحو إنجلترا لتحقيق حلمه في مطلع القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ومن غرائب المصادفات أن تقوم الدولة اليهودية بعد خمسين عامًا من نبوءة هرتزل، وأن تحقق الحركة الصهيونية أهدافها في الموعد الذي حدده لها من غير تقديم ولا تأخير. فالعامل الديني في الحركتين الصليبية واليهودية هو المحرك الأساسي لهما(الصلابي،2008م،26).

الصورة الثانية: وجه التشابه في الاحتلال والاستيطان:

ذلك أن الحروب الصليبية الصهيونية لم تنته باحتلالهم لفلسطين وإقامة مملكة بيت المقدس، وذبح الآلاف من المسلمين داخل المسجد الأقصى، ولا حتى بإقامة دولة إسرائيل، وتشريد المسلمين وذبح الآلاف في كل آن وحين، فقد بدأت الحرب الصليبية في القرن الخامس الهجري، حيث توحدت الكنائس الشرقية والغربية، وتوحدت الدولتان روما وبيزنطة على ما كان بينهم من خلافات، فقد نجح أيربان الثاني في أن يجمع ملوك فرنسا، وإسبانيا، وبريطانيا، وألمانيا، وإيطاليا، ومسيحي الشرق والغرب، وأعلن الحرب المقدسة ضد المسلمين لتخليص فلسطين قائلًا: " إن الحرب المقدسة المعتمدة الآن ليست لأخذ

الثار من إهانات ضد البشر، بل عن الإهانات الصادرة ضد الله، وهي ليست لاكتساب مدينة واحدة فقط، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى، فاتخذوا محجة القبر المقدس وخلصوا الأراضي المقدسة من أيدي المختلسين وأنتم أملكوها لذواتكم، فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبنًا وعسلًا، فإن انتصرتم على أعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسمًا وميراثًا، وأما إذا قتلتم فلكم المجد لأنكم تموتون في المكان الذي مات فيه يسوع المسيح"(الكاتب،73)، ومن هنا شملت الحركة الصليبية أوربا كلها أغنياء وفقراء وملوكًا وأمراء شرقيين وغربيين، تحركت جموعهم من مختلف الأمم الأوربية من السويد، والنرويج، وإنكلترا، وفرنسا، ومن ألمانيا، والدنمرك والمجر، وكانت الحملات الصليبية مددًا لا ينقطع، وسيلًا من البشر يتحرك على السفن على مدار المائتي عام التي امتدت فيها الحروب الصليبية، وهذا يعيد إلى الأذهان ما حدث منذ مائة سنة من هجرة يهودية إلى فلسطين من روسيا ودول أوربا الشرقية والغربية، وأمريكا، وأفريقيا، وآسيا، وهم بلغات وأجناس وعادات وتقاليد مختلفة، ولكنهم قد اتفقوا على شيء واحد هو العودة إلى (أرض الميعاد) أرض الآباء والأجداد أرض إسرائيل كما تقول المزاعم اليهودية، الأرض التي كتب الله لهم، الأرض المقدسة وتخليص الهيكل المقدس(الميسري،1998م،131/6؛صلاح الدين،102-103).

وإذا كانت الحروب الصليبية أول حرب دينية بعد الفتوح الإسلامية استخدمت فيها العاطفة والإثارة الدينية بشكل واضح استطاعت تحريك كل الجماعات الأوربية، فتحركت أوربا كلها نحو الشرق فقد استطاعت الحركة الصهيونية أن تتزيا بالزي اليهودي، فحركت جلاميد اليهود، فتحولت تلك القلوب المادية المتحجرة إلى سيل بشري جارف، زحف على فلسطين من جميع أنحاء العالم (صلاح الدين،102-103؛ م. مؤلفين،2017م،17).

إن الحركة الصليبية والحركة الصهيونية تستخدم الإيديولوجية الدينية في التوسع العسكري، فقد توجهت ثلاث حملات صليبية فقط على فلسطين وبيت المقدس، فلو كان الغرض هو الاستيلاء على فلسطين وبيت المقدس فقط، فلماذا هذا التوسع في مختلف الأقطار الإسلامية. فهل يوجد قبر المسيح في مصر وسوريا؟ وهل الهيكل المقدس قد انتقل إلى صبرا وشاتيلا والجولان وسيناء والعراق؟

فالصهيونية الحديثة صورة طبق الأصل من الصليبية العسكرية القديمة، فهي استعمار استيطاني يهدف إلى الاستيلاء على الأرض وطرد السكان والتوسع الدائم والمستمر، وهذا ما تؤكده أحداث اليوم من محاولة الصهاينة تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة.

الصورة الثالثة: وجه التشابه في اتخاذ الشعارات:

فقد سمى الصليبيون أنفسهم (بفرسان المسيح)، و(الشعب المقدس)، و(شعب الرب) ...، ويسمي الصهاينة أنفسهم شعب الله المختار، وإذا كان شعار البابا أيربان الثاني وهو يحرض على الحروب الصليبية حرروا هذه الأرض من (الجيش الشرير)، فهذه الأرض التي يقول الكتاب المقدس إنها تفيض باللبن والعسل قد منحها الرب ملكًا للمؤمنين. وفي الوقت نفسه يقول الصهاينة أيضًا إنها ملكهم حسب وعد الله لهم بها، وإنها لهم وحدهم من النيل إلى الفرات، وضمن الإطار الديني نفسه فقد أبرز البابا والكاثوليكية الغربية أنفسهم بأنهم حماة المسيحية الذين هبوا لنجدة إخوانهم المسيحيين الشرقيين من خطر المسلمين واضطهادهم، هو نفسه ما يقوله اليهود الواردون من روسيا ووسط أوربا وألمانيا وفرنسا، فقد جعلوا أنفسهم حماة لليهود الشرقيين من اضطهاد العرب المسلمين المتوحشين الغزاة المحتلين (الشارتري،1990م،13؛ صلاح الدين،103).

فالشعار واحد، تحرك الصليبيون لتخليص القبر المقدس، وتحرك الصهاينة لتخليص الهيكل المقدس، ووراء الشعارين حشدًا لا ينتهي من المشاعر الدينية المتقدة، ولكنها تتمركز في النهاية في كلمة محددة في نقطة من الأرض محددة، وكما رفع الصليبيون شعار تحرير أرضهم (أرض المسيح)، فكذلك يعلن الصهاينة تحرير فلسطين من الغرباء والمستعمرين ويقولون (أرتز إسرائيل) أرض الميعاد(زكي،2017م).

الصورة الرابعة: وجه التشابه في التضليل الإعلامي واتخاذ القدس مادة دعائية

فقد جعلت الصليبية والصهيونية القدس مادة دعائية مكثفة لهما، قام بها القسس والرهبان والتجار والمؤلفون، لقد جعلوها مادة قصصية خيالية شارك فيها حتى الأطفال، وهو الشيء نفسه الذي يفعله الصهاينة في كل وسائل الإعلام والنشر منذ مائة سنة، حتى أن اليهود أخذوا يبيعون زجاجات الهواء المعبأة من القدس إلى العالم الجاهل، فاستقطبوا عواطف العالم، وسلبوا أموالهم، وكسبوا تأييدهم وموالاتهم (صلاح الدين،103-104)، وهو ما تفعله وسائل إعلامهم اليوم أيضًا.

وقد اتجهت هذه الحملات الدعائية للتخويف من خطر الإسلام والمسلمين البرابرة الهمج الذين رسمت لهم الدعاية الصهيونية آلاف الصور المنفرة، مستغلة جهل العالم بالحقائق التاريخية، فقد صوروا رسول الله كعدو شيطان للبشرية، بل سفاك متعطش للدماء حتى للأطفال، فهو في صورة ساحر يهدم الكنائس والمعابد بالسحر والخديعة، وصوروا أتباعه بأنهم وحوش ضارية تسعى لقتل الإنسان المسيحي واليهودي وهدم الحضارة الإنسانية، وقطعوا شوطًا في تزييف الحقائق الإسلامية ومسخ حضارتها وتاريخها (عبد الحميد،1084م،40؛ م. مؤلفين،21).

فالموقف الغربي الصليبي والصهيوني من الرسول الكريم يتشكل في إطار ديني يتسم بالتعصب والتشنج والانفعال

مليء بالحقد والكراهية، تحيطه جهالة عمياء متعمدة أحيانًا، وغير متعمدة أحيانًا (مجموعة مؤلفين،127/1)، فالعرب والمسلمون في ذهن العالم حسب الدعاية الصهيونية عبارة عن برابرة مخادعين إرهابيين، فعلى العالم كله أن يتعاون في القضاء عليهم.

والمشاهد والمتابع لوسائل الإعلام الأمريكية والغربية وغيرها من وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود يلاحظ إلى أي مدى بلغ الخداع والتضليل اليهودي للرأي العام الأمريكي والأوربي، الذي يصور المسلمين أنهم قادة الإرهاب، وقتلة، مفسدين في الأرض، وفي المقابل فإن هذه الدعاية قد حولت الأنظار عن الإرهاب البشع الذي تمارسه السلطات اليهودية بحق العرب والمسلمين في فلسطين من المجازر البشرية التي تحدث باستمرار، وآخرها ما نشهده هذه الأيام من إبادة لسكان قطاع غزة.

الصورة الخامسة: وجه التشابه في كون الغزوتين تشكلان جسمًا غريبًا في المنطقة:

فالمتأمل في خريطة الدويلات والقواعد والإمارات الصليبية التي أقيمت في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وخاصة في مملكة بيت المقدس الصليبية التي أقيمت في قلب المشرق العربي في فلسطين، والتي كانت عبارة عن جسم غريب ودولة عازلة ومعزولة، فإنه يمكن أن يرى أوجه الشبه المثيرة للدهشة بينها وبين خريطة إسرائيل، خاصة وفقًا لقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م.

إن التشابه بين خريطة إسرائيل وخريطة مملكة القدس الصليبية هو تشابه كبير جدًا من حيث الموقع بالنسبة لتقسيم العالم العربي، وبفصل مشرقه عن مغربه، ومما يثير الدهشة أن خريطة مملكة القدس الصليبية والتي نشأت عام ١٠٩٩م قد أقيمت قبل حوالي ثمانية قرون ونصف في قلب الوطن العربي، قبل أن تظهر إسرائيل إلى الوجود، أي قبل أن تظهر فكرة الصهيونية ذاتها بقرون عديدة (صلاح الدين،106).

إلى ذلك إن هناك أوجه شبه كبيرة في طريقة كل من الغزوتين في غزو المنطقة، حيث إن كلًا منها قد سلك طريق البحر، وأقامت كل منهما رأس جسر على الشاطئ، وقامت بتحصينه، وأقامت الحصون والقلاع وذلك من خلال التعزيزات البحرية، وتتابع الحملات الصليبية، والهجرات اليهودية(عبدالمعز،33).

الصورة السادسة: وجه التشابه في اعتماد سياسة العنصرية والحصار والقتل والترويع:

هناك قاسم مشترك بين الحركتين في الصفة العنصرية لهما، فالعنصرية الصليبية كانت واضحة تمامًا من خلال الممارسات التي قامت بها تلك الحركات فمن ناحية كانت مشكلة التفرقة بين المسيحيين الغربيين والذين يتبعون الكنيسة الكاثوليكية والمسيحيين الشرقيين الذين يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية، وهذه التفرقة بين المسيحيين نجدها أيضًا بين اليهود أنفسهم في إسرائيل، حيث إن أحد مستويات التفرقة العنصرية في إسرائيل هي التفرقة بين اليهود من أصل غربي، أو ما يعرف(بالأشكنازيم)، واليهود من أصل شرقي والذين يعرفون (بالأسفارديم)(م.مؤلفين،2017م،54) .

ومن ناحية أخرى فإن العنصرية الصليبية كانت واضحة في تعاملها مع السكان الأصليين. فقد قام الصليبيون بممارسات القتل الجماعي وعمليات الإفناء للمسلمين في المناطق التي استولوا عليها ففي سنة ١٠٩٩م عندما حاصر الصليبيون القدس، ومن المفارقات العجيبة هنا أن اليوم الذي بدأ فيه احتلال القدس وحصارها من قبل الصليبيين هو 7/ 6/ 1099م، هو نفس اليوم الذي سقطت فيه بيد اليهود7/ 6/ 1967م، وبعد اشتداد هذا الحصار عرض الصليبيون على أمراء المدينة من المسلمين تسليم المدينة مقابل عدم تعرض الصليبيين لهم وإعطائهم الأمان، وعدم المساس بحرمات السكان، إلا أن الصليبيين نقضوا وعدهم هذا وقاموا بعملية قتل وترويع للمسلمين الذين كانوا بالمدينة.

وفي الجانب الصهيوني فإن العنصرية إزاء السكان تبدو واضحة في كافة المجالات، سواء بالشعور إزائهم بالتفرقة، أو من خلال ممارسات القمع والمذابح التي يقومون بها ضد العرب في فلسطين، ويكفي أن نذكر منها على سبيل المثال مذبحة دير ياسين١٩أبريل ١٩٤٨م، ومذبحة كفر قاسم ١٩٥٦م، ومذبحة صبرا وشاتيلا(محمودن1967م،72؛ النجار،64)، وكذلك المجازر الكثيرة والمروعة التي يقوم بها الكيان الصهيوني اليوم بحق سكان قطاع غزة وغيرها.

فالممارسات العنيفة ذات الصبغة العنصرية ميزت كلًا من الغزوتين الصليبية والصهيونية، أضف إلى ذلك أن الصهيونية قد صبت لعنتها وعداءها على المساجد والمقدسات الإسلامية، فقد أحرقوا المسجد الأقصى، وخططوا لهدمه وإزالته لإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه، وهو على وشك الانهيار من خلال أعمال الحفريات لإقامة ما يسمونه هيكل سليمان، وقد استباحوا حرمة المسجد الإبراهيمي في الخليل، ولم يتركوا مسجدًا ولا مقدسًا من المقدسات إلا انتهكوا حرمته، واعتدوا على المصليين فيه، بل دعوا إلى إقامة كنيس يهودي في ساحة المسجد الأقصى، وتقوم حملة مكثفة يهودية تقوم بها المنظمات اليهودية في أفريقيا لجمع التبرعات بدعوى إعادة بناء المعبد اليهودي مكان قبة الصخرة، وقد انظم إليهم بعض النصارى المتعصبين لتأييد المشروع وتصميم المشروع(صالح،2011م،16).

الصورة السابعة: وجه التشابه في الاعتماد على الدعم والمساعدات الخارجية:

هناك تشابه واضح ومهم وخطير بين الغزوتين؛ ذلك أن كلًا منهما يعتمد على المساعدات الخارجية، فقد اعتمدت

ميزانية بيت المقدس الصليبية التي تأسست سنة ١٠٩٩م على المساعدات المسيحية للغزوة الصليبية على شكل هبات ومنح دينية، وعلى صورة صناديق الزكاة والإحسان، وكذلك في صورة ضرائب الحج وغيرها، وهي الأوضاع الاقتصادية نفسها في إسرائيل التي تعتمد اعتمادًا رئيسيًا على المساعدات والدعم الخارجي، متمثلة في صناديق الجباية اليهودية المنتشرة في أنحاء العالم المختلفة، أو في صورة هبات من مختلف الدول كالمساعدات الألمانية والمعونات الأمريكية، وكذلك تحصل إسرائيل على ضرائب على الحج للأماكن المقدسة. فإذا كانت بريطانيا قد وضعت أسس دولة اليهود ويسرت السبل لقيامها وتشريد المسلمين من أهل فلسطين، فإن الولايات المتحدة قدمت لإسرائيل في السنوات العشر الأولى من قيامها ما يقرب من مليار دولار، وأنشأت جمعيات أمريكية خاصة لتقديم الهبات لإسرائيل وسهلت طرح سندات القرض لإسرائيل داخل الولايات المتحدة وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية، وأمدت الولايات المتحدة إسرائيل بكل أنواع الأسلحة الحديثة، حتى التي تستخدم لأول مرة في أمريكا ذاتها في الوقت الذي تفرض حظرًا على توريد الأسلحة إلى بعض الدول العربية(شاكر،1987م،17؛قدادن2020م، 60؛صلاح الدين،107-108).

الصورة الثامنة: وجه التشابه في الاعتماد على الهجرات المتتالية

وهناك تشابه واضح في هذا الجانب، فقد اعتمد كل من الغزوين على الهجرات المتتالية، فكانت الهجرة الصليبية الأولى سنة ١٠٩٦- ١٠٩٩ م، واستطاعت أن تؤسس أربع إمارات صليبية، وكانت الهجرة الثانية من ١١٤٧-١١٤٩م، والهجرة الثالثة من١١٨٩-١١٩٢م، والرابعة ١٢١٨-١٢٢١م، والخامسة والسادسة ١٢٤٨-١٢٥٠م، والسابعة سنة ١٢٤٩م، والثامنة 1250-1254م.

ولو تأملنا الهجرات اليهودية البارزة لوجدنا أن هناك تشابهًا في عددها تقريبًا مع عدد الهجرات المسيحية إلى الشرق، التي جاءت كل منها في صورة حملات مسلحة، خلال تلك الهجرات وفي الأوقات الفاصلة بينها، حيث نلاحظ أن الهجرات اليهودية الكبرى التي تدفقت على المنطقة كانت متتالية؛ فأولى الهجرات اليهودية ١٨٨٢ - ١٩٠٣م، والثانية١٩٠٤-١٩١٤م، والثالثة ١٩١٩-١٩٢٣م، والرابعة١٩٢٤-1931م، والخامسة ١٩٣٢-١٩٣٨م، والسادسة ١٩٣٩-1948م، والسابعة ١٩٤٨-١٩٥١م، والثامنة ٩٦٧ -١٩٧٣ م(النجار،136).

الصورة التاسعة: وجه التشابه في أوضاع العالم الإسلامي إبان الغزو الصليبي والغزو الصهيوني

إن الأوضاع والظروف التي سادت أثناء الغزو الصليبي والصهيوني كانت متشابهة للغاية من ناحية فساد الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وإن هذا التشابه قد أوجدته اليهودية الماكرة، فهي التي مهدت للغزوة الصليبية وهيأت لها أسباب الانتصار على الأمة الإسلامية بما دبرته من مؤامرات على عقيدة هذه الأمة وتجزئتها إلى دويلات متناحرة متصارعة.

وقد أدى هذا التشابه بالدوائر الرسمية الإسرائيلية إلى دراسة ظروف الغزوة الصليبية دراسة واعية ودقيقة، من قبل فريق من علمائها ومفكريها، وأساتذة جامعاتها، وغيرها من الجهات والمؤسسات على أعلى المستويات، لكي تتدارك الوقوع في الخطأ الذي أخرج الصليبيين من فلسطين، وحتى لا تحدث موقعة حطين مرة ثانية. وقد ظهر اهتمام الدولة اليهودية بهذه المشابهة من خلال منح إحدى جوائز رئيس الدولة في إسرائيل سنة ١٩٦٩م للبروفسور (يشوع برافر) أحد خبراء تاريخ الحروب الصليبية، الذي أثبت أن المسابقة التاريخية لن تتكرر(صلاح الدين109-110؛شاكر،17؛بريجيه،2020م،96).

أما على الجانب العربي والإسلامي فإن هناك قصورًا في بيان المشابهة التاريخية بين الغزوين، بل إن هناك انعدامًا في مثل هذه الدراسات التي لا تتعدى الوصف النظري دون التعمق لاستخلاص الدروس التاريخية من عملية مواجهة الغزوة الصليبية وإمكانية الاستفادة منها في عملية المواجهة مع الغزوة الصهيونية.

ولهذا فإذا كان كلا الغزوين قد وجدا في المنطقة، فإن هذا الوجود واستمراره من عدمه قد وجد نتيجة عوامل موضوعية توافرت وخاصة التفكك في الجبهة العربية الإسلامية مما دفع رينيه غروسيه إلى القول: " إن هذه الكتلة الإسلامية الضخمة القادرة على محو أضعاف هؤلاء المغامرين القادمين إلى آسيا بعشرين مرة، قد سمحت لنفسها بتجزئتها أن تتحطم أمام الانفجار الغربي"(صلاح الدين،110).

الصورة العاشرة: وجه التشابه في تخاذل زعماء المسلمين إزاء الغزوين

فقد كان المجتمع الإسلامي قبل الحرب الصليبية على حالة من الاضطراب والتفكك تسمح لأعدائه بمهاجمته والنيل منه، فمصر كانت نهبًا للمجاعة والثورات والانقلابات، وعدم الاستقرار في بلاد العراق والخلافة العباسية. ولم تكن حالة المغرب الإسلامي أحسن حظًا من المشرق، فتونس عمتها الفوضى والاضطرابات ونالها التقسيم وفقدان الوحدة السياسية، وصقلية انتهت منها آخر مقاومة إسلامية وأستولى عليها الرومان سنة ٤٨٤ هـ، أما الأندلس فقد بدأ فيها عهد التراجع ورجحان كفة الصليبيين، وبدأوا يحتلون المدن الإسلامية الواحدة بعد الأخرى، وهكذا كان حال العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية حيث كان في حالة مغرية على مهاجمته واكتساحه (كشك،15؛ الميسري،345/16).

وكما هو معروف من التخاذل الواضح الذي ظهر إزاء المد الصليبي والصهيوني وضعف مواجهة المسلمين لهذا المد،

وها هو التاريخ يعيد نفسه، فقد حرص أعداء الإسلام على تأجيج الصراع والخلاف بين زعماء المسلمين وتثبيطهم، وإبعادهم عن تحمل مسئوليتهم تجاه مقدسات الأمة وكرامتها، بل وصل الأمر إلى هرولة الكثير من الأنظمة المسلمة إلى الاعتراف بدولة الكيان الصهيوني بل والتطبيع معه، في مواقف تعكس حالة الذل والهوان التي وصلت إليها قيادات تلك الأنظمة إلا من رحم الله.

الخاتمة:

وبعد هذه الدراسة التي هدفت إلى بيان وتوضيح مفهوم الغزو الصهيوني والصليبي لفلسطين وأسبابه وبيان صور التشابه بينهما نخلص إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولا- النتائج:

- إن دراسة التاريخ لا تعني الاقتصار على ذكر الروايات والأحداث والتواريخ بقدر ما تعني تفسيرها وتحليل أحداثها، بغرض استلهام العظة والعبرة، من أجل الاستفادة من أخطاء وتجارب الأمم وخبراتها.

- إن الحروب الصليبية ترجع في أسبابها إلى ثلاثة عوامل مجتمعة: دينية، واقتصادية، وسياسية، ترجع في أصولها البعيدة إلى القرن السابع الميلادي نتيجة انتصار المسلمين على الروم في عدة معارك.

- إن الصهيونية قد اتخذت الاستعمار الأوربي والشيوعية وسيلة لتحقيق أهدافها وتحركت في جسم الأمة الإسلامية بواسطة مؤسساتها الماسونية، والنوادي الرياضية، والثقافية والجمعيات المختلفة.

- هناك تشابه كبير جدا بين كل من الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين، وهذا يدحض مقولة أن التاريخ لا يتكرر.

- إن أوجه التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني لفلسطين تكمن في الصور التالية: وجه التشابه في العداء الديني للإسلام والمسلمين، وجه التشابه في الاحتلال والاستيطان، وجه التشابه في اتخاذ الشعارات، وجه التشابه في التضليل الإعلامي وجعل القدس مادة دعائية، وجه التشابه في كون الغزوين شكلا جسما غريبا في المنطقة، وجه التشابه في اعتماد سياسة العنصرية والحصار والقتل والترويع، وجه التشابه في الاعتماد على الدعم والمساعدات الخارجية، وجه التشابه في الاعتماد على الهجرات المتتالية، وجه التشابه في أوضاع العالم الإسلامي إبان الغزوين، وجه التشابه في تخاذل زعماء المسلمين إزاء الغزوين.

ثانيا التوصيات:

بناء على نتائج البحث يوصي الباحث بدراسة كل صورة من صور التشابه بين الغزو الصليبي والغزو الصهيوني دراسة وافية مستقلة متعمقة، والاستفادة من نتائج تلك الدراسة لاستخلاص الدروس التاريخية من عملية مواجهة الغزو الصليبي، وإمكانية الاستفادة منها في عملية المواجهة مع الغزو الصهيوني.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد. (1876). *الكامل في التاريخ*. ج9-11-12. لندن. (د.ن).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. (1995م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. ج 5. ط1. القاهرة. دار الحديث.
- أتلخان، جواد رفعت. (1401ه). الإسلام وبنو إسرائيل. ترجمة يوسف ويلشاه. الرياض.(د.ن).
- أكاديمية المملكة المغربي. (1401ه). *القدس تاريخيا وفكريا*. الرباط. (د.ن).
- الألباني، محمد ناصر الدين. (1992م). *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة*. ج14. ط1. الرياض. دار المعارف.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (1427ه). *أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم*. ج1، ط1. الرياض. (د.ن).
- باركر، أرنست. *الحروب الصليبية*. (د.ت). ترجمة السيد الباز العريني. بيروت. دار النهضة العربية للطباعة.
- باعباد، علي هود. (2005). *الغزو الفكري والعسكري الصليبي وخطورته على الأمة العربية والإسلامية*. صنعاء. مكتبة الإرشاد.
- بريجيه، عيسى. (2020م). *دور التاريخ في فهم السياسة الإسرائيلية*، مجلة دراسات بيت المقدس. العدد20 .
- البعث الإسلامي. (2005م). مؤسسة الصحافة. الهند. لكناؤ. العدد الثاني.
- خان، ظفر الإسلام. (1987م). *تاريخ فلسطين القديم*. ط1 (د.ن).
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع. (1990م). *المستدرك على الصحيحين*. ج4. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية.
- الحريري، سيد علي. (1359ه). *الأخبار السنية في الحروب الصليبية*. ط2. مصر. مطبعة النيل.
- الخولي، حسن صبري. (1973م). *سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين*. ج1. مصر. دار المعارف.
- زكي، عبد اللطيف. (2017م). *أوجه التشابه بين صليبية الأمس وصهيونية اليوم*. متاح على الرابط: msp onlion.
- سوسة، أحمد. (1972م). *العرب واليهود في التاريخ*. بغداد. دار الحرية للطباعة.
- شارتري، فوشيه(1990م) *تاريخ الحملة إلى القدس*. ترجمة: زياد العسلي. ط1. القاهرة. (د.ن).

- شاكر، مصطفى. (1987م). *الصراع العربي الصهيوني والصليبي*. مجلة شئون عربية. عدد 52.
- صالح، محسن. (2011م). *معاناة القدس والمقدسات تحت الاحتلال الإسرائيلي*. ط1. بيروت. مركز الزيتونة.
- الصلابي، علي. (2008م). *صلاح الدين وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*. ط2. بيروت. دار المعرفة.
- صلاح الدين، مجاهد بن مجدد الدين. (1994م). *لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد الأقصى وإحباط المؤامرة العالمية على الأمة الإسلامية*. ط1. (د.ن).
- عبد الحميد، محسن. (1984م). *أزمة المثقفين تجاه الإسلام*. ط 1. دار الصحوة.
- عبد المعز، ميمونة. (د.ت). *القدس بين الاحتلال الصليبي والاحتلال الصهيون*. أكاديمية شئون اللاجئين. فلسطين.
- الغامدي، عبد الله سعيد محمد. (1985م). *صلاح الدين والصليبيون*. بيروت. الندوة الجديدة.
- قداد، مصطفى. (2020م). *الاستيطان الصليبي لبيت المقدس*. مجلة دراسات بيت المقدس. العدد20.
- الكاتب، عبد الحميد. (د.ت). القدس- *الفتح الإسلامي- الغزو الصليبي- الهجمة الصهيونية*. دار الشروق.
- كشك، عبد الحميد. (2002م). *خذوا من أحداث التاريخ عبرة*. ط2. مكتبة العباسية.
- مجموعة مؤلفين. (2017م). *الصراع العربي الإسرائيلي* (د.ن).
- مجموعة مؤلفين. (د.ت) *مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية*. ج1. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- المحجوبي، علي. (1990م). *جذور الاستعمار والصهيونية بفلسطين*. تونس. دار براس للنشر.
- محمود، عبد المنصف. (1967م). *اليهود والجريمة*. القاهرة .(د.ن).
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري. (د.ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله* ﷺ (صحيح مسلم).ج1-2 بيروت. دار إحياء التراث العربي.
- المصري، جميل عبد الله. (د.ت) *حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة*. ج1-2. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الميسري، عبد الله. (1998م). *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*. ج16. القاهرة. دار الشروق.
- النجار، عبد الله. (د.ت) *أسرار المؤامرة الصهيونية*. طبعة خاصة. (د.ن).
- الواسطي، أبي بكر محمد بن أحمد. (1979م). *فضائل البيت المقدس*. القدس. دار ماغنيس.
- ونسيمان، ستيفن. (1968م). *تاريخ الحروب الصليبية*. ترجمة السيد الباز العريني. بيروت. (د.ن).
- ويلشاه، يوسف. (1401ه). *الإسلام وبنو إسرائيل*. الرياض. (د.ن).